

إسرائيل، عبء استراتيجي..(*)؟

أنتوني كوردسمان

أستاذ كرسي الاستراتيجية في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية - واشنطن.

إن العلاقات التي تربط أمريكا بإسرائيل ليست قائمة في المحل الأول على المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة. وفي أفضل الظروف، فإن بعض الحكومات الإسرائيلية، التي تتبع طريق السلام، كانت تقدم بعض المعلومات الاستخبارية، وبعض التطورات الثانوية في التكنولوجيا العسكرية، ومورداً محتملاً لقوة عسكرية داعمة للاستقرار، لمساعدة دول عربية بعينها مثل الأردن. وحتى في مثل تلك الظروف، فإن أي تدخل عسكري إسرائيلي فعلي، في دولة عربية بعينها، كان يؤدي إلى إحداث نوع من عدم الاستقرار ونوع من الجدوى أيضاً.

والواقع أن الدوافع الحقيقية من وراء الالتزام الأمريكي تجاه إسرائيل إنما هي دوافع معنوية وأخلاقية. إنها تمثل ردة فعل إزاء فظائع «الهولوكوست» والمسار التاريخي الممتد لمعاداة السامية، في الغرب، وإزاء إخفاق الولايات المتحدة في مساعدة يهود ألمانيا وأوروبا خلال الفترة السابقة على دخولها في الحرب العالمية الثانية. كما أن تلك الدوافع تمثل نتاجاً للحقيقة القائلة بأن إسرائيل بلد ديمقراطي يشارك الولايات المتحدة نفس القيم من الناحية العملية.

إن التزام الولايات المتحدة تجاه إسرائيل ليس من النوع الذي يمكن التخلي عنه. ولقد أوضحت الولايات المتحدة هذا الالتزام بشكل متكرر، منذ قامت بدايةً بالاعتراف بإسرائيل كدولة، ودأبت بثبات على تقوية نطاق التزاماتها منذ ١٩٦٧.

(*) نشرت هذه الدراسة بالإنكليزية على موقع مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (Center for Strategic and International Studies) بتاريخ ٢ حزيران/يونيو ٢٠١٠ تحت عنوان: Anthony H. Cordesman, «Israel as a Strategic Liability?», < <http://csis.org/publication/israel-strategic-liability> > .

لقد أمدّت الولايات المتحدة إسرائيل بكميات ضخمة من المعونات الاقتصادية، وما فتئت تقدم عوناً عسكرياً كافياً للحفاظ على التفوق العسكري لإسرائيل إزاء جيرانها.

كما أفصحت الولايات المتحدة عن أن الدعم الأمريكي لجهود السلام بين العرب وإسرائيل يجب أن يستند إلى خيارات تحفظ أمن إسرائيل، وما إعلانها مؤخراً أنها يمكن أن تنظر في بناء نظام «للردع الإقليمي الموسع» سوى تعبير رمزي عن الالتزام الأمريكي بحماية إسرائيل، بالإضافة إلى جيرانها، من أي تهديد نووي إيراني.

ولكن في نفس الوقت، إن عمق الالتزام الخلقي الأمريكي لا يبرر أو يعذر أفعلاً قد تقوم بها حكومة إسرائيلية، ويكون من شأنها أن تجعل من إسرائيل، دون ضرورة موجبة، عبئاً استراتيجياً، بدلاً من أن تظل رصيذاً استراتيجياً للولايات المتحدة. كما لا يعني ذلك الالتزام أن تمنح الولايات المتحدة دعماً لأية حكومة إسرائيلية عندما تفشل هذه الحكومة في اتباع نهج السلام بمصادقية مع جيرانها. ولا يعني هذا الالتزام أيضاً أن للولايات المتحدة أدنى مصلحة في دعم المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية، أو أن تتخذ الولايات المتحدة موقفاً متعنّتاً من القدس بما يجعلها من الناحية الفعلية مدينة يهودية، عوض أن تكون مدينة مختلطة.

وذلك الالتزام أيضاً لا يعني أن تقف الولايات المتحدة موقفاً سلبيّاً حينما ترتكب إسرائيل سلسلة من الحماقات الاستراتيجية، مثل مواصلة القصف الاستراتيجي للبنان أثناء فترة الصراع بين إسرائيل وحزب الله، أو تصعيد هجومها على غزة بعد أن أتمت كلياً تحقيق أهدافها الأساسية، أو إحراج رئيس الولايات المتحدة بالإعلان عن توسيع برامج البناء الإسرائيلي في القدس الشرقية، في لحظة حرجة من المسعى الأمريكي لاستعادة زخم محادثات السلام الإسرائيلية - الفلسطينية، أو إرسال رجال (الكوماندوز) للسيطرة على سفينة تركية، في عملية خائبة بشكل مريع، لإعاقة «قافلة السلام» الذاهبة إلى غزة.

لقد حان الوقت لكي تدرك إسرائيل أن عليها التزامات تجاه الولايات المتحدة، بمثل ما أن على الولايات المتحدة التزامات تجاه إسرائيل، وعليها أن تكون أكثر حرصاً حول المدى الذي تذهب إليه في اختبار صبر الولايات المتحدة واستغلال تأييد اليهود الأمريكيين.

لا يعني هذا اتخاذ تصرف منفرد يمكن أن يضرّ بالأمن الإسرائيلي، وإنما يعني أن إسرائيلي يجب أن تُظهر ما يكفي من الحصافة لتعكس حقيقة أنها تمثل مصلحة استراتيجية أمريكية مضاعفة في عالم معقد ودائم التغير.

على حكومة إسرائيل أن تتصرف وفق فهم للطبيعة الطويلة الأجل للعلاقة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وأن هذه العلاقة تعتمد على سعي إسرائيل بصورة واضحة وفعالة، من أجل السلام مع الفلسطينيين، هذا السلام الذي هو في صلب المصالح الاستراتيجية لإسرائيل نفسها.

على الإسرائيليين أن يدركوا أن الولايات المتحدة تعارض توسع إسرائيل والاحتفاظ بمستوطناتها، وتعارض جهودها لطرد الفلسطينيين من القدس الكبرى.

على الحكومات الإسرائيلية أن توجه تصرفاتها العسكرية على نحو يصير معه من الواضح أنها لن تستخدم القوة إلا إلى المستوى المتطلّب فعلياً، وأنها تراعي بالعناية الواجبة القضايا الإنسانية منذ البدء، وأن لديها نظرة واضحة لخطة عمل لما بعد المعارك من أجل حصر الأثر السياسي والاستراتيجي لاستخدامها القوة.

وعلى إسرائيل أيضاً ألا تشن هجوماً مرتفع المخاطرة ضد إيران في مواجهة «ضوء أحمر» واضح للولايات المتحدة من إدارتي بوش وأوباما كليهما.

إسرائيل يجب أن تظهر حساسية إزاء حقيقة أن تصرفاتها تؤثر مباشرةً في المصالح الاستراتيجية الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي، ويجب أن تظهر من الحساسية أيضاً إزاء الشواغل الاستراتيجية الأمريكية مثل ما تظهره الولايات المتحدة إزاء الشواغل الاستراتيجية لإسرائيل.

إن الولايات المتحدة ليست في حاجة إلى مشكلات لا لزوم لها في إحدى أكثر مناطق العالم اضطراباً، وخاصة حينما تأخذ التصرفات الإسرائيلية شكلاً لا يخدم المصالح الاستراتيجية لإسرائيل ذاتها. وعلى الحكومة الإسرائيلية الحالية، خاصة، أن تدرك أنه على قدر القوة التي يجب أن تتحلّى بها الأواصر الأمريكية - الإسرائيلية، فلقد حان الوقت للعودة إلى ذلك النوع من الواقعية الاستراتيجية التي كان يمثلها قادة إسرائيليون مثل إسحق رابين.

لا شيء مما حدث هذا الأسبوع قبالة ساحل غزة يقع اللوم فيه على رجال (الكوماندوز) الإسرائيليين أو على الجيش الإسرائيلي. فلقد استبان أن النذر أمام رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير الدفاع بما فيه الكفاية حول الموقف، وكانا يعرفان أن القافلة موجهة بتصميم نحو عمل من أعمال الإثارة السياسية يستهدف جذب اهتمام وسائل الإعلام في العالم، بأكثر الطرق الممكنة سلبية. إنهما يتحلمان، شخصياً، المسؤولية عما حدث، وعليهما أن يُظهرَا في المستقبل حرصاً أكثر بكثير، وروحاً عمليّة □